

من تاريخ النبي وأهل البيت (ص) وأخبار الدول الشيعية في المغرب للمؤرخ الأندلسي

لسان الدين ابن الخطيب

(٧١٣-٧٧٦ هـ / ١٣١٣ - ١٣٧٤ م)

تقديم

لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أحد أعظم أعلام الأندلس في السياسة والأدب والتاريخ والطب والفلسفة والأخلاق، كان أسلافه يعرفون ببني الوزير، ولد ونشأ بغرناطة.

واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٢٣ هـ ثم ابنه الغني بالله محمد، وفي هذا العهد شعر بعدم الارتياح فهاجر خلسة إلى جبل طارق ومنه إلى سبتة فتلمسان فأكرمه السلطان عبد العزيز بن عليم المريني، ثم استقر بفاس، وبعد مدة سعى سلطان غرناطة (الغني بالله) في طلبه من سلطان المغرب، فأرسل عليه ووجهت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة، وأفتى بعض الفقهاء في قتله، ثم سجن وضيق عليه في السجن كثيراً حتى كان يبكي نفسه، ومما قال في ذلك:

بَعُدْنَا وَإِنْ جاورَتْنَا البيوتُ	وجئنا بوعظ ونحنُ صُمُوتُ
وكنّا عِظاماً فصرنا عظاماً	وكنّا نَقُوتُ فها نحنُ قُوتُ
وكنّا شَمُوسَ سماءِ العُلا	غَرَبْنَا فناحت علينا السموت
فكم جدّلت ذا الحُسامِ الظبا	وذو البخت كم جدّلت البخوت
وكم سيق للقبر في خرقةٍ	فتى مُلئت من كُساهِ التخوت
فقل للعدا ذهبَ ابن الخطيب	وفات، ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرحُ منهم له	فقل: يفرحُ اليومَ من لا يموت

ثم دبرت له مؤامرة فقتل في سجنه خنقاً، ودفن في مقبرة (باب المحروق) بفاس، وكان يلقب بذي الوزارتين: السيف والقلم، وبذي العمرين لاشتغاله بتدبير المملكة في نهاره، وبالتصنيف في ليله، وقد

بلغت مؤلفاته أكثر من خمسين مؤلفاً ألقى فيها الضوء على تاريخ الأندلس والمغرب في القرن الثامن الهجري، وقد تلف الكثير منها في محنه إحراق كتبه بغرناطة سنة ٧٧٣ هـ، وما بقي من تلك المؤلفات شاهد حي على عظمة هذا الرجل الذي اعتبر من أهم أعلام الأندلس، وقد خصه المقرئ في كتابه (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب) بترجمة كبيرة تقارب نصف كتابه جمعها من الترجمة الذاتية التي كتبها ابن الخطيب لنفسه في آخر كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) ومما كتبه ابن خلدون في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ومما أورده ابن الأحرر في كتابه (نثر فرائد الجمان فيمن يضمني وإياه الزمان) وهذه طائفة من عناوين كتب ابن الخطيب:

الكتيبة الكامنة في أدباء المئة الثامنة، طرفة العصر في دولة بني نصر، بستان الدول، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، عمل من طب لمن حب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، النثر في غرض السلطانيات كثير، جيش التوشيح، رقم الحل في نظم الدول وهي أرجوزة في التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية الشريفة حتى عصر ابن الخطيب قال عنها المقرئ في كتابه أما رقم الحل في نظم الدول، فهو غاية الحلاوة والعذوبة والجزالة، وقد كنت بالمغرب أحفظ أكثره.

ثم وضع ابن الخطيب لهذه الأرجوزة الشرح المعروف (بشرح رقم الحل) وطبع لأول مرة بتونس (عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م) وأعاد طبعه الدكتور عدنان درويش معتمداً على مخطوطة من الكتاب في مكتبة الأسد، وصدر أوائل عام ١٩٩٠ ضمن منشورات وزارة الثقافة، وحين وقفت على هذا الشرح قرأته معجباً ببراعة مؤلفه العلامة ابن الخطيب، ثم خطر لي أن أستخرج منه ما يخص النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) وما يتعلق بأخبار دول الشيعة الظاهرة بالأندلس والمغرب، وقد دون ابن الخطيب في شرحه من أحوالها نبذ تاريخية جديرة بالقراءة أعمل فيها خبرته وحنكته على سبيل الإيجاز والاختصار، وها نحن ننقلها من شرحه المذكور ونضعها بين يدي القارئ للاطلاع والاعتبار، والله الموفق إلى سواء السبيل.

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد بن أبي

لما أقام الله رَسَمَ الحق	بالحاشِر العاقِب هادي الخَلق
محمد رسولهُ الأمين	المُجْتَبى ذي المنصب المكين
مُؤَيِّداً بالمعجزات الواضحة	أنوارها للمُبْصِرِين لائحة
لاح الهدى وأنقَشع المَحْذُورُ	وَعَمَّ أفاقَ البلادِ النُّورُ
وجَعَلتْ تَوْمُهُ الوفودَ	والدَّنَ يَضْفُو ظِلُّهُ المَمْدُودُ

وَدَخَلُوا فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا وَسَلَكُوا مِنْ شَرِّعِهِ مَنَاجِيًا
وَقَرَّرَ الْأَدَابَ وَالْأَحْكَامَا فَأَوْضَحَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَا
وَذَمَّ اللَّهَ بِهِ قَدْ رُعِيَتْ وَأَصْبَحَتْ سُنَّتُهُ قَدْ وُعِيَتْ
وَوَضَحَ الْقَوْلُ جَمِيعًا وَالْعَمَلُ حَتَّى إِذَا الدِّينُ تَنَاهَى وَاكْتَمَلُ
وَاسْتَأْنَفَ الْمَلِكَ الَّذِي لَا يَبْلَى خَيْرًا فَاخْتَارَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى

ففضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن يشرح، فهو حجة الله في الأرض، وشهيد على الخلق، ومصطفاه من البشر، والمخصوص بمزية النبوة وآدم بين الماء والطين، والله در القائل:

إِذَا رُمْتُ مَدَحَ الْمُصْطَفَى شَفْعًا بِهِ تَبَلَّدَ ذَهْنِي هَيْبَةً لِمَقَامِهِ
فَأَقْطَعُ لَيْلِي سَاهِرَ الْجَفْنِ مَطْرَقًا هَوَى فِيهِ أَحْلَى مِنْ لَذِيزِ مَنَامِهِ
إِذَا قَالَ فِيهِ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ رَوُفٌ رَحِيمٌ فِي مَسَاقِ كَلَامِهِ
فَمَنْ ذَا يُجَارِي الْوَحْيَ وَالْوَحْيَ مُعْجَزٌ بِمُخْتَلَفِيهِ نَثْرِهِ وَنِظَامِهِ

خلافة علي بن أبي طالب

وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ خَيْرَ إِمَامٍ مَجْرَعُ الْأَبْطَالِ أَكْوَاسُ الْحِمَامِ
أَخَا نَبِيِّ اللَّهِ وَابْنَ عَمِّهِ وَبَابَ مَا خَزَنَهُ مِنْ عِلْمِهِ
سَيْفُ الْهُدَى وَحَتَفَ أَبْطَالِ الْعِدَا وَجَذْوَةَ الْبَأْسِ وَيُنْبِوعَ النَّدَا
وَالسَّابِقَ الْغَايَةَ فِي كُلِّ مَدَى مَنْ طَلَّقَ الدُّنْيَا وَقَدْ مَدَّتْ يَدَا
وَفَرَّقَ الْمَالَ وَقَدْ تَعَدَّدَا فَصَيَّرَ الْمَكَانَ مِنْهُ مَسْجِدَا
عَلِيًّا عَلِيَّ وَابْنَ عَمِّ الْمُصْطَفَى لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ مِنْ خِفَا
أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَصِيُّهُ وَارِثُهُ نَصِيرُهُ وَلِيُّهُ
زَوْجُ الْبَيْتِ وَلِ بِنْتِهَا الْمُطَهَّرَةُ وَوَالِدُ الْفُرِّ الْكَرَامِ الْبَرَّرَةُ

فأعطيت قَوْسُ العُلى باريها ودانت الدارُ وَمَنْ يليها
ونازعته الأمرُ لما استوثقا طائفةً أضحت على التربِ لقا
واختلط المرعي بعدُ بالهمَلْ وكان ما قد كان من يومِ الجملِ

معاوية بن أبي سفيان

ثم دعا لنفسه مُعاوية وعظم الخطبُ بعَمرو الداهية
وكانت الحربُ على صفين وأقنت الدين سيوفُ الدين
كم راحة شُلت ونفسٍ سالت وعُمِد للمسلمين مالت
وكم حُروبٍ عندها قد هالت ومالت الحربُ إلى ما مالت
من خلعه المحكم في مكيدة آراء قومٍ لم تكن سديدة
وأعملت على الوصي الجيلة وحجة الباطل مستحيلة
وشبَّ للفتنة كلُّ مارج وثارَت الحروبُ بالخوارج
وانتدب الأشقى إلى ما انتدبا فليندب الندب الرضى من ندبا
ولتبك في الليل عيون الأنجم لما جناهُ الفاتك ابنُ ملجم
يا فتكة في قلب كلِّ مُسلم جديدة الحسرة بعد القِدم

(بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة)

قولي:

((وبايعوا من بعده خير إمام))

بوع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم قتل عثمان، وفخر علي بنفسه وقرابته وصهره
من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشهر من أن يستوفى بشرح، رضي الله عنه.

(الفتنة في خلافة علي رضي الله عنه)

قولي:

((ونازعته الأمرُ لما استوثقا))

ونقم على علي إسلامه عثمان، ولم يكن أسلمه، بل بعث إليه بنيه، وأمرهم أن

ينصروه، وتخلف عن بيعته سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وأسامة بن زيد. وخالف أمره طلحة، والزبير، وخرجا إلى مكة مع عائشة - رضي الله عنها - وحملوها على الطلب بدم عثمان، فحَرَّضَ الناسُ.

(وقعة الجمل)

قولي: ((وكان ما قَدْ كَانَ من يَوْمِ الْجَمَلِ))

قالوا: لما خرجت عائشة، توجه علي إلى البصرة سنة ست وثلاثين، ووقعت بينه وبين أصحاب عائشة وبيعة يوم الجمل يوم الخميس لعشر خَلَوْنَ من جمادى الأولى من السنة. وبرزت عائشة على الجمل قد غشيتها الدروع، حتى اسْتَحَرَّ^(١) في حزبها القتل، وعُقر الجمل، وقتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً، ومن أصحاب علي خمسة آلاف.

(دعوة معاوية بن أبي سفيان لنفسه بالخلافة)

(ووقعة صفين)

قولي: ((ثُمَّ دَعَا لِنَفْسِهِ مُعَاوِيَةَ))

قالوا: ولما قتل عثمان بعثت أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب إلى معاوية بن أبي سفيان أخيها بميص عثمان مخضباً بدمه، وحرضته على طلب ثأره، فدعا إلى نفسه مَنْ بِأَرْض الشام، وهو شوكة^(٢) جيش المسلمين. وكان مسير علي من الكوفة إلى لقائه لخمس خَلَوْنَ من شوال سنة ست وثلاثين. فعبّر الجسر إلى الشام في تسعين ألفاً. وسار إليه معاوية، فكان اللقاء على صفين والمقام بها مائة يوم وعشرة أيام، وقتل بها سبعون ألفاً من الطائفتين.

(التحكيم لإنهاء القتال)

قولي:

((وَمَالَتْ الْحَرْبُ إِلَى مَا مَالَتْ))

وأنه لما أشرف علي الفتح: وقد طحنت الحرب كثيراً من أعلام الرجال، نادى مشيخة أهل الشام: (يا معشر العرب، الله الله في الحرمات ورفعوا المصاحف ونادوا: (كتاب الله بيننا وبينكم) فأشار الناس على عليّ بقبول ما دَعَوْا إليه، واتفقوا على رجلين من الفريقين يحكمان بما يزيل الفتنة فاختر أهل الشام عمرو بن العاص داهية العرب وصاحب آرائها. واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري. واتفق الحكماء على خلع معاوية وعلي، وحمل عمرو أبا موسى الأشعري على التقدم إيثاراً له في ظاهر الأمر. فلما خطب الناس وخلع علياً - رضي الله عنه - قام عمرو فأقر معاوية واختاره فاضطرب الأمر وتمت الحيلة، واختل أمر علي، وخرجت الخوارج عليه منكراً للتحكيم، وسار يؤم الكوفة. وانصرف معاوية إلى دمشق.

(مؤامرة لاغتيال الثلاثة)

قولي: ((وَأَنْتَدَبَ الْأَشْقَى إِلَى مَا أَنْتَدَبَا))

وما بعده يُذكر أن في سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج، وتذكروا أمر الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة، فتعاهد ثلاثة منهم على احتساب نفوسهم في إراحة الناس من علي ومعاوية وعمرو بن العاص، وتواعدوا في ليلة سبع وعشرين من رمضان، فانطلق منهم رجل لقبه البرك إلى معاوية، فطعن به بخنجره وهو يصلي فأصاب أليته. وانطلق الآخر ويُعرف بزاكويه، فقتل وعمرو قاضي مصر واسمه خارجة لشبهه به. وانطلق الأشقي وهو عبد الرحمن بن ملجم، فأخذ على علي بعض زوايا المسجد وكمن به. فلما خرج علي ضربه ابن ملجم بالسيف على رأسه، وقُبِضَ عليه، واحتُمِلَ علي إلى منزله، فكانت وفاته ليلة إحدى وعشرين من رمضان سنة إحدى وأربعين. ومضى لسبيله - رضي الله عنه - مسابق مضمار الإيمان، والنجدة، والهجرة، والنصرة، والصبر، والقربى، والقناعة، والعلم، والجهاد، والزهد، وقتل ابن ملجم بعد وفاته.

(خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب)

فَذَهَبَتْ بِيَمِينِهِ الْمَخَافَةُ	ثُمَّ تَوَلَّى الْحَسَنُ الْخِلَافَةَ
وَسَكَنَ الْأَهْوَالَ وَالشُّرُورَا	وَأَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ الْأُمُورَا
وَنَجَّلَهُ فِي وَصْفِهِ وَسَمَّتِهِ	سَبَّطُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ بَنْتِهِ
وَأَنْقَذَ النَّاسَ مِنَ الْعَمَاءِ	أَبْقَى عَلَى النُّفُوسِ وَالْدِمَاءِ
وَحَقَّنَ الدِّمَاءَ نِعَمَ مَا صَنَعَ	فَدَامَ فِيهَا أَشْهُرًا ثُمَّ انْخَلَعَ
مِنْ غَيْرِ طَعْنٍ مُعْمَلٍ وَضَرْبٍ	وَصُيرَ الْأَمْرُ إِلَى بْنِ حَرْبٍ
إِذْ بَلَغَتْ عَدَا ثَلَاثِينَ سَنَةً	وَتَمَّتِ الْخِلَافَةُ الْمُعِينَةَ

(خلافة الحسن ثم اعتراله)

ثم تولى الحسن الخلافة بعد أبيه - رضي الله عنهما - وزحف بأهل العراق إلى حرب معاوية، وكان اللقاء بمسكن من أرض الأنبار، فيقال:
إن الحسن لما نظر إلى العسكرين وفكر فيما سيكون بينهما من القتال أحب السلامة

واختار للناس العافية، وآثر حقن الدماء، وصالح معاوية وسلّم الأمر إليه.)
وفيما يروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن ابني هذا سيد يُصلحُ الله به فِئتين عظيمتين من المسلمين)
وكانت مدته إلى أن خرج عن الأمر لمعاوية خمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

(تولي يزيد بن معاوية)

وَتَرَكَ الْعَهْدَ إِلَى يَزِيدَ	بَعْدَ لَجَاجٍ مِنْ أُولَى التَّسَدِيدِ
فَنَالَهَا بِالْفَتْرِ وَالتَّغْلُبِ	وَفَازَ فِيهَا بِقَصِيِّ الْمَطْلَبِ
وَحَادَّ عَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ وَعَدَلَ	فَمَا وَفَى فِي أَمْرِهِ وَلَا عَدَلَ
فَضَجَّتِ الْحَرَّةُ مِنْ ضِرَامِهِ	وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ فِي أَيَامِهِ
قَصَرَ نَظْرًا عَنْهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ	فَاسْتَلَحَمَتَهُ الْوَقْعَةُ الْمَعْرُوفَةُ
وَسِيقَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِثْلَ الْأَسْرَى	كَأَنَّهُا مِنْ نَفْلِ أَهْلِ كِسْرَى
وَعَبِثَتْ بِالْمُبَسَّمِ الْكَرِيمِ	كَفَّ الْيَزِيدُ الْبَائِسَ الذَّمِيمِ
وَقَطَعَ الدَّهْرُ بِهِ كُلَّ أَمَلٍ	وَلَقِيَ اللَّهُ عَلَى شَرِّ عَمَلٍ

(تولي معاوية بن يزيد)

بَحِمْلِهَا لَكِنْ رَمَاهُ وَأَنْقَبَضَ	ثُمَّ تَوَلَّاهَا ابْنُهُ فَمَا نَهَضَ
أَغْضَى عَنِ الدُّنْيَا لِفِرْطِ زُهْدِهِ	وَهُوَ أَبُولَيْلى اسْمُهُ اسْمُ جَدِّهِ

ما كان الحسن عليه السلام يبداً بهذه الخطة بل أخذها من صلح (الحديبية) فيما أثر من سياسة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . وقد رأى عليه السلام أن يترك معاوية لطغيانه ، لكب أخذ عليه في عقد الصلح ، أن لا يعدو الكتاب والسنة في شئ من سيرته وسيرة أعوانه ، وأن لا يطلب أحداً من الشيعة بذنوب أذنبه مع الاموية ، وأن يكون لحقه من الكرامة وسائر الحقوق ما لغيرهم من المسلمين وأن ، وأن ، وأن الخ...

من الشروط التي لم يوف بها معاوية (الموسم)

(تولية العهد ليزيد بن معاوية)

قولي: ((وَتَرَكَ الْعَهْدَ إِلَى يَزِيدَ))

هو ولدهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وكان قد عَرَضَ على وفود الأنصار من العراق وغيرها غرضه في تصيير العهد إليه، فقام الأحنف بن قيس فقال: (إِنَّ النَّاسَ أَمْسَوْا فِي مُنْكَرِ زَمَانٍ قَدْ سَلَفَ وَمَعْرُوفِ زَمَانٍ يُؤْتَنَفُ، وَيَزِيدُ حَبِيبٌ قَرِيبٌ فَإِنْ تَوَلَّاهُ فَتَوَلَّاهُ فَغَيْرُ كَبِيرٍ مَعْنَى وَلَا مَرَضٌ مُضْنَى، وَقَدْ حَلَبَتْ الدَّهْورُ وَجَرَبَتْ الْأُمُورُ فَاعْرِفْ مِنْ تَسْنَدٍ إِلَيْهِ بِعَهْدِكَ، وَمَنْ تَوَلَّاهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ. فَهَذَا وَلَفْظُهُ مِمَّا هُوَ كَثِيرٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَعْتَ الْإِشَارَةَ بِقَوْلِي:

((بَعْدَ لَجَاجٍ مِنْ أَوْلَى التَّسْدِيدِ))

((مِنْ سِيرَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ))

قولي: (وَحَادَّ عَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ وَعَدَلَ)

قالوا: يَزِيدُ أَوَّلُ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ جَهَارًا مِنْ مُلُوكِ الْأُمَّةِ، وَاتَّحَذَّ الْمَلَاهِي، وَاسْتَحَلَّ مُحَارِمَ اللَّهِ.

(وَقَعَةُ الْحَرَّةِ وَاحْتِلَالُ عَسَاكِرِ يَزِيدَ الْمَدِينَةِ)

قولي: ((فَضَجَّتِ الْحَرَّةُ مِنْ ضَرَامِهِ))

قالوا: لما ولي يَزِيدُ اتَّفَقَ رَأْيُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى خَلْعِهِ وَإِخْرَاجِ مَنْ بَهَا مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ، وَجَعَلُوا أَمْرَهُمْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ، وَجَهَّزَ يَزِيدُ الْجِيُوشَ إِلَيْهِمْ بِنَظَرِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِبَةَ الْمُرِّي، فَأَحَاطَ بِالْمَدِينَةِ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ، وَانْتَهَبَتِ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَعَطَلَتِ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، وَبَلَغَ عَدَدُ مَنْ قُتِلَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَوُجُوهِ النَّاسِ أَلْفَ رَجُلٍ سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهَا بَدْرِيٌّ مِنَ الصَّحَابَةِ

(وَقَعَةُ كَرْبَلَاءَ وَمَقْتَلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)

قولي: ((وَقَتَلَ الْحُسَيْنُ فِي أَيَّامِهِ))

لما مات مُعَاوِيَةُ أَرْسَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَوَجَّهَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ إِلَى الْكُوفَةِ، وَخَاطَبَهُ فِي الْقُدُومِ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَخَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ مُسْرِعًا حَتَّى لَحِقَ بِالْكُوفَةِ وَقَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، وَرَحَلَ الْحُسَيْنُ يَرِيدَ الْكُوفَةَ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ يَوْمَ قُتِلَ وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَقِيَتْهُ خَيْلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِكَرْبَلَاءَ، وَكَاثَرَتْهُ الْعَسَاكِرُ، فَلَمْ يَزَلْ يِقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ وَقَتَلَ مَعَهُ سَبْعَةٌ وَثَمَانُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِي يَوْمٍ عَاشُورَاءَ، وَاحْتُمِلَ نِسَاؤُهُ أَسْرَى عَلَى الْإِبِلِ، وَبُعِثَ إِلَى الْيَزِيدِ بِرَأْسِهِ، فَعَبَّتْ بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

ولله در القائل:

فَإِنَّ قَتِيلَ الطِّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ أَضْحَتْ مَرِيضَةً لَقَتَلِ حُسَيْنٍ وَالْبِلَادِ أَقْشَعَتْ

وأراح الله عز وجل من يزيد عن كَثَبٍ لأربع عشرة خَلَتْ من ربيع الأول سنة أربع بعدها.
ذكر ملوك الشيعة من العبّيدين بإفريقية ومصر

وظَهَرَ الشَّيْعِيُّ فِي كِتَامِهِ	اخْتَارَ فِيهِمْ كَوْنَهُ وَاعْتَامَهُ
وَعَرَّهْمَ بِرَأْيِهِ وَمَذْهَبِهِ	وَوَعَدَهُمْ مُلْكَ الْوَرَى بِسَبَبِهِ
قَصَصٍ وَصِيرٍ الدَّعْوَى بَعْدَ قَصَصِ	إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ آلِ الْوَصِيِّ
وَهُوَ الَّذِي لُقِّبَ بِالْمَهْدِيِّ	أَيُّ هُمَامٍ حَازِمٍ أَبِي
دَهَاؤُهُ وَحِلْمُهُ مَعْرُوفٌ	وَعَزَمَهُ إِلَى الْعِدَا مَصْرُوفٌ
حَتَّى إِذَا اسْتَوْثَقَ أَمْرُ الْمَلِكِ لَهُ	جَدَّ إِلَى الشَّيْعِيِّ حَتَّى جَدَّ لَهُ
وَكَمْ لَهُ مِنْ هَمٍّ عَلَيْهِ	مِنْهَا ابْتَنَاهُ قَلْعَةَ الْمَهْدِيَّةِ
ثُمَّ أَتَاهُ الْحَيُّ فِي رَقَادِهِ	فَسَلَّمَ الْعَهْدَةَ وَالْمَقَادَةَ
إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ وَهُوَ الْقَائِمُ	وَهُوَ الْإِمَامُ الْأَلْعِي الْحَازِمُ
يَمُّ بِالْأَسْطُولِ قَصْدَ جَنُوهِ	فَرَزَقَ الْفَتْحَ عَلَيْهَا عَنْوَهُ
ثُمَّ بَلَاهُ اللَّهُ بِالنَّكَارِ	أَبِي يَزِيدَ رَاكِبِ الْحِمَارِ
وَفِي حُرُوبِهِ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ	وَصُيرَتْ إِلَى ابْنِهِ أَحْكَامُهُ
قَامَ بِهَا الْمَنْصُورُ إِسْمَاعِيلُ	وَهُوَ الشَّجَاعُ الْمَلِكُ الْجَلِيلُ
تَدَارَكَ الْأَمْرَ وَسَدَّ خَلْلَهُ	وَتَبَعَ النَّكَارَ حَتَّى قَتَلَهُ
وَجَاءَهُ مَا لَيْسَ فِيهِ رَدُّ	فُلُوكِ الْأَمْرِ ابْنُهُ مَعَدُّ

• • •

وَهُوَ مُعَزَّهْمٌ أَبُو تَمِيمٍ حَتَفَ الْعِدَا ذُو النَّائِلِ الْعَمِيمِ

أَغْزَى إِلَى الْغَرْبِ فَتَاهُ جَوْهَرًا	كَمْ مَعْقِلٍ هَدَّ وَمَلِكٍ قَهْرًا
وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى الْحَنَايَا	لَوْ أَنَّ حَيًّا سَالَمَ الْمُنَايَا
ثُمَّ رَمَى بِهِ دِيَارَ مِصْرَ	فِي طَالِعٍ مُقْتَرِنٍ بِالنُّصْرِ
فَنَالَ مِصْرَ مَلِكُهُ وَالشَّامَا	وَشَامَ مِنْ بَرَقِ الْمُنَى مَا شَامَا
وَنَقَلَ الْمَلِكَ إِلَيْهَا وَاحْتَمَلَ	وَهَزَهُ لِمَلِكٍ بَغْدَادَ الْأَمَلِ
وَعَصَبَ الْمَغْرِبَ بِالْأَمِيرِ	الْبَرْبَرِيِّ يَوْسُفَ بْنَ زِيرِي
وَنَالَهُ عَقْبُهُ الرَّئِيسُ	مَنْصُورٌ ثُمَّ بَعْدَهُ بَادِيسُ
ثُمَّ الْمَعَزُ وَتَمِيمٌ ذُو اللَّسَنِ	وَبَعْدُ يَحْيَى وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ
فِي خَبَرٍ مُتَّسِقٍ كَالسَّلِكِ	وَالْمَلِكُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْمُلْكُ

• • •

وَقَصَدْنَا وَصَلَ الْحَدِيثِ الْمَاضِي	إِذَا عَارَضَتْنَا جُمْلَةً اعْتَرَضِ
حَتَّى إِذَا أَوْدَى بِمِصْرٍ وَهَلَكَ	مَعْدُ لَمْ يَأَلُ الْعَزِيزُ أَنَّ مَلَكًا
شَدَّ عُرَى الْمَلِكِ ابْنُهُ نِزَارُ	حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بِالْجَمِيعِ الدَّارُ
وَسَلَّمَ الدَّهْرُ لَهُ الْقِيَادَا	فَأَصْبَحَتْ أَيَّامُهُ أَعْيَادَا
وَجَاءَهُ الْحِمَامُ فِي الْحَمَامِ	وَكُلُّ أَمْرٍ فَإِلَى تَمَامِ
وَبَايَعُوا لِلْحَاكِمِ الْجَبَّارِ	مُسَلَّطِ السِّيفِ عَلَى الْأَعْمَارِ
تَخَوَّنَ الْعَقْلُ بِهِ اخْتِلَالَ	غَطَّى عَلَيْهِ الْمُلْكُ وَالْجَلَالَ
وَسَاحَ يَوْمًا فِي الْجِبَالِ وَهَلَكَ	ثُمَّ ابْنُهُ الظَّاهِرُ مِنْ بَعْدِ مَلِكِ

وهو الذي يُدعى أبا الأشبالي ما شئت من عدلٍ ومنٍ إفضال
ثم ابنه المستنصرُ المعمرُ أخباره معروفة لا تُنكرُ
سبعين عاماً نيفت أعواماً ثلاثة وأشهرًا تماماً
ثم تلاه الأمرُ للمُستعلي فصيرَ الأمرُ أبَ لنجلٍ
وحافظٌ وظافرٌ مُستولي تجدهم هذي الدنيا وتبلي
وبعده الفائزُ ثم العاضدُ وأقفرَت من بعده المعاهدُ
وأزهفَ العزَمُ صلاحُ الدين فاستؤصلت دولتهم في الحين
وانقرضت وكلُّ شيءٍ لزوال ويتبعُ الموتَ حسابٌ وسؤال
كانوا عياناً فهم اليومَ خبرٍ طوبى لمن بمقلة الحق نظرُ
وكان من أيامه على حذرٍ وسمعَ العبرةَ يوماً فاعتبرُ
وصُرِّفت دَعَوَتهم للمُستضي وأيُّ أمرٍ كائنٍ لا ينقضي

(ولاية زيادة الله الثالث وزوال دولة الأغالبة)

وفي أيام زيادة الله هذا ظهر أمر بني عبّيد ، ولقيت جيوشه جيوش الشيعة فلم تقم له قائمة، ففر إلى المشرق وترك البلاد، وفي فراره إلى المشرق أخبار طويلة.

وفيما يختص بدولة ملوك الشيعة من الشرح

(ظهور الدعوة الشيعية في قبيلة كتامة)

قولي: ((وَظَهَرَ الشَّيْعِيُّ فِي كَتَامَةِ))

وما بعده الشيعي: هو الرجل الداعي لإمام الشيعة وهو داعي المغرب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا^(٢).

وكتامة: قوم من سكان الجبال بالمغرب، أولو بأس ونجدة وبسالة تعرف بهم في الحجاز وصحبهم ورأس فيهم رئاسة دينية، وقرر مذهب الشيعة، فاتبعوه حتى مهد لإمامه مُلك المغرب.

(مؤسس الدولة الفاطمية)

قولي: ((وَصَيَّرَ الدَّعْوَةَ بَعْدَ قِصَصِ))

وما بعده هذا عبيد الله الذي دعا إليه قد اختلف الناس في نسبه إلى علي، فالذي أثبتته قال: هو عبيد الله بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، وكان من رجال الكمال، ولما استقامت له الأمور قتل الشيعي أبا عبد الله الداعي إذ أحسّ بفساده وتوفي بقرادة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة^(٤)، وكنتم ابنه موته سنة كاملة.

(ولاية القائم الفاطمي)

قولي: ((إلى أبي القاسم وهو القائم))
أبو القاسم هذا هو ابنه، ولقبه القائم^(٥)، وكان ملكاً كبيراً يركب بالمظلة، وغزا جنوة فكان الفتح عليه جليلاً، وأغزى فتاه جوهرا المغرب، فعظم أمره ووصل البحر المحيط.

(فتنة النكار الخارجي)

قولي: ((ثم بلاه الله بالنكار))
هو أبو يزيد مخلد بن كيداد^(٦) القائم عليهم في سبيل الحسبة، وكان يركب الحمار، وله أخبار غريبة شقي به العبيديون وكاد الأمر يؤول إليه.
وتوفي أبو القاسم في عنفوان فتنته ثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

(ولاية المنصور بنصر الله)

وولي الأمر ولده ولي عهده أبو الظاهر إسماعيل المنصور^(٧) وشمر لجهاد النكار حتى قتله بعد وقائع كثيرة.

(ولاية المعز لدين الله)

قولي: ((فولي الأمر ابنه معد))
هو المعز أبو تميم^(٨)، وهو أعظم هؤلاء الملوك قدراً وأبعدهم صيتاً، ومدحه أبو القاسم^(٩) بن هانئ بما هو مشهور من قصائده العالية.

(جوهرة الصقلي يفتح المغرب)

قولي: ((أغزى إلى الغرب فتاه جوهراً))
أغزى بلاد المغرب فتاه^(١٠) فدوخ الأرض على أبايتها وبلغ البحر المحيط الغربي.

(غزو جوهرة للديار المصرية)

وقولي: ((ثم رمى به ديار مصر))
ثم أغزاه ديار مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بجميع العساكر وكان من جملة حملته ألف حمل من المال ومالا يوصف من العدة. وفي أخريات السنة المذكورة ورد البشير بفتح

مصر، ثم لما اتسق مُلكه بمصر غزا الشام ففتحها، وانتقل المعزُّ من أفريقيا إلى المشرق في سنة إحدى وستين وثلاثمائة. قالوا: ولما اجتاز مُشرقاً على صبرة نظر إلى قصوره وقال: سلامٌ عليك، سلامٌ من لا يراك أبداً، وفي الخامس من رمضان سنة اثنتين^(١١) عبّر إلى القاهرة.

(تولي ابن زيري إمارة المغرب)

قولي: ((وعَصَبَ الْمَغْرِبَ بِالْأَمِيرِ))

لما أعمل المعزُّ الرحلة إلى المشرق استخلف أبا الفتوح يوسف^(١٢) ابن زيري بن منادٍ الصنهاجي أمير صنهاجة وفوض الأمور إليه، فتوارثها عقبه من بعده.

(وفاة المعز لدين الله الفاطمي)

قولي: ((وَقَصَدْنَا وَصَلَ الْحَدِيثَ الْمَاضِي))

أي وصل حديث العبيدين والرجوع إليه، ولما كمل أمر المعز أتاه الموت هادم اللذات، وقاطع الآمال، فمات بالقاهرة المعزية حادي عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة^(١٣).

(ولاية العزيز بالله)

وولي بعده العزيز بالله أبو منصور، ولم ير الناس أياماً مثل أيامه فرجاً وأمناً ثم توفى ببلبيس غازياً سنة ست وثمانين.

(ولاية الحاكم بأمر الله)

وولي بعده أبو علي منصور بن العزيز بالله ولقبه الحاكم واستقل بالأمر، وكان مضطرب التدبير سفاكاً للدماء، قَتَلَ الْجُمْلَةَ من قضاته ووزرائه وعمّاله ذبحاً، وضاق به الناس.

وفي يوم الأحد ثالث ذي القعدة^(١٤) خرج في طائفة من خاصته وأمعن في الجبل وأمرهم بانتظاره ولما طال الأمد طلبوه، فوجدوا الحمار الذي كان عليه بقِنَّة الجبل وقد ضُرِبَتْ يداه بالسيف وعليه سرجه ولجامه ثقيل: إن قوماً كمنوا له في الجبل فقتلوه وألقوه في النيل.

(ولاية الظاهر لإعزاز دين الله)

قولي: ((ثُمَّ ابْنَهُ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ))

هو أبو الحسن علي بن منصور، يدعى أبا الأشبال، وكان خيراً توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة^(١٥).

(ولاية المستنصر بالله معد)

وولي الأمر المستنصر بالله معد أبو تميم، ولم يكن في بني عبّيد أطول عمراً منه^(١٦).

(ولاية المستعلي)

قولي: ((ثُمَّ تَلَاهُ الْأَمْرُ لِلْمُسْتَعْلِيِّ))

هو منصور بن المستنصر، واسمه حسان وفَتَكَ به في طريق نزهته نم الحشيشية وثبوا عليه من قرن بطريقه وقتلوه.^(١٧)

(ولاية الحافظ لدين الله)

وولي بعده وهو عبد المجيد، من^(١٨) بيت الخلافة، وليس بابن خليفة، قدم ليحفظ الأمر على من في بطون جوارى الأمير، ولما لم يظهر حمل استقل.

(ولاية الظافر)

وولي بعد الظافر وهو ولده يوسف بن عبد المجيد^(١٩)، ثم هَلَكَ في سبيل من تخلف. (ولاية الفائز بنصر الله)

وقام بالأمر الفائز^(٢٠) بن الظافر ولم تَطُلْ أيامه.

(ولاية العاضد)

ثم قام بالأمر العاضد وهو عبد الله بن يوسف^(٢١) الظافر، وكان فتى نبيلًا، واستدعى له وزيره الغز وأميرهم أسد الدين^(٢٢) ليستظهر بهم، فنافسوا الوزير وتغلبوا على أمر الدولة. (صلاح الدين الأيوبي وعودة الخلافة العباسية)

قولي: ((وأرهف العزم صلاح الدين))

هو يوسف بن أيوب بن أخ أسد الدين أمير الغز^(٢٣) الوزير، فقع بعد عمه مقعد الوزارة، وحجب العاضد، وكان مواليا للخلائف العباسيين ببغداد، ثم توفى العاضد حتف أنفه، فمشى صلاح الدين في جنازته راجلاً مشقوق القباء في آخر سنة أربع وستين وخمسائة. ونسخ من بعده دعوة بني عبّيد وأحكم الدعوة لبني العباس:

ثم انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

(استنجد المؤيد هشام بعلي بن حمود الإدريسي)

قولي: ((وقيض الله له أبا الحسن))

هو علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبّيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يقال: إن هشاماً المحجوب لما شعر بالهلاك خاطب ابن حمود بسببة يستنصره ويقلده دمه والطلب بثأره ويُفْضِي إليه بعده، فتحرك سنة خمس وأربعمائة وبرز إليه سليمان بن الحكم، فانهزم سليمان وتقبض عليه وعلى أخيه وأبيه، وسبقوا إلى علي بن حمود فضرب أعناقهم بيده وفاءً لهشام، وتمت البيعة لعلي بن حمود وكان

فضاً غليظاً شديداً، واغتالته صبية من مماليكه الصقالبة في الحمام فقتلوه غرة ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة^(٢٤).

(نزاع آل حمود على الحكم)

وتولى أمره من بعده أخوه القاسم^(٢٥) ثم نازعه يحيى بن علي بن حمود^(٢٦)، وفر من قرطبة، وتملكها وتداولها منهم طائفة كبيرة.)

الحواشي

(١) استحر: اشتد وقتك.

(٢) الشوكة، القوة

(٣) كان يعرف بالشيعي ويلقب بالعلم، وهو الذي مهد الأمور للدولة الفاطمية بالمغرب، قتل سنة ٢٨٩ هـ. ٩١١ م.

(٤) وهو الذي لقب بالمهدي الفاطمي، وتوفي سنة ٩٣٤ للميلاد.

(٥) اسمه محمد بن عبيد الله، ويسمى أيضاً نزاراً، بويع بعد موت أبيه سنة ٣٢٢ وتوفي سنة ٣٣٤ هـ = ٩٤٦ م.

(٦) وهو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري، ثائر، من زعماء الخوارج الإباضية وأتمتهم، توفي سنة ٣٣٦ هـ = ٩٤٧ م.

(٧) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، المنصور بنصر الله ثالث خلفاء الدول الفاطمية، توفي سنة ٣٤١ هـ = ٩٥٣ م.

(٨) اسمه معد بن إسماعيل، أحد خلفاء الدولة الفاطمية وأعظمهم توفي سنة ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م

(٩) هو محمد بن هاني بن محمد الأزدي الأندلسي، شاعر أندلسي فحل، كالمثني، توفي سنة ٣٦٢ هـ = ٩٧٣ م.

(١٠) هو القائد جوهر بن عبد الله الرومي الصقلي، الفاتح، باني القاهرة والجامع الأزهر، توفي سنة ٣٨١ هـ = ٩٩٢ م.

(١١) أي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة = سنة ٩٧٣ للميلاد.

(١٢) ويسمى بلكين أيضاً ولقبه سيف الدولة، وهو مؤسس الدولة الصنهاجية بتونس، توفي سنة ٣٧٣ هـ = ٩٨٤ م.

(١٣) سنة ٩٧٥ للميلاد.

(١٤) أي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة = سنة ٩٧٣ للميلاد.

(١٥) ولي الخلافة سنة ٤٠٨ هـ، مات مسجوناً بسجن ابن أخيه يحيى سنة ٤٣١ هـ = ١٠٤٠ م.

(١٦) بويع بالخلافة سنة ٤١٢ هـ ولقب نفسه بالمعتلي بالله، وتوفي سنة ٤٢٧ هـ = ١٠٣٥ م.

(١٧) سنة ٩٧٥ للميلاد.